يرجع الفضل في تصوير هذا الكتاب للأخ الفاضل/ أبي زارع المدني فقد
تكفل بإرسال الكتاب وحرص على تصويره بأسرع وقت لتعم الفائدة به

السُّبُلُ المُرْضِيَة

لِطَلَبِ العُلُومِ الشَّرْعِيَّة

عرض لمدارج الطلب وسبله، وأجوبة على الأسئلة الشائعة
حول مناهج الطلب وكيفية التعلم، وجمع ونظر وترجيح بين أشهر
المناهج العلمية المقترحة، مع تعريف بأشهر المتون والكتب التي تُدَرَّس
لطبقات المتعلمين، مع ذكر لأصح الطبعات، وقوائم مكتبية للقراءة
والاطلاع واستدراك لعلوم لم توضع لها مناهج تعليمية من قبل

صنعه
أَبُو الأَشْبَال أَحْمَد بْن سَالِم المِصْرِيّ

طبعة جديدة مزيدة ومنقحة

دار الفاروق

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

رقم الإيداع
٢٢٩٣٢ / ٢٠١٠

جمهورية مصر العربية - المنصورة
٣ شارع الهادى - عزبة عقل - أمام جامعة الأزهر
٠١٤٥٧٦٤٤٤٠ - ٠١٠٢٢١٨٧٢٧
البريد الإلكترونى
dar el farouk 1 @yahoo.com

عرفاناً بالجميل

الحمد لله يؤتي الفضل من يشاء ، والشكر لله يسبغ نعمته على من يشاء ، والصلاة والسلام على النبي الخاتم القائل : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » .

وبعد :

فعرفاناً بجميل من كان لي في موضع الأب والأخ والشيخ والمربي أهدي هذا الكتاب ، إلى من غرس الغرس ورعاه حتى أنبت ، إلى الشيخ / محمد عبد الباقي شعبة من وفاء الحق وشذرة من شكر الصنيع لله دره وعليه أجره .

وكتب

أحمد سالم

ديباجة الكتاب

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُهُ ، ونستعينُهُ ، ونستغفرُهُ ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنَا ، ومن سيئاتِ أعمالنَا ، مَنْ يهدِه اللهُ فلا مُضلَّ له ، ومَنْ يُضلِلْ فلاَ هاديَ له ، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ ، وأشهدُ أنَّ مُحمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١].

أَمَّا بَعْدُ : فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدىُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور مُحدثاتها ،وكل مُحدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

وبَعْـدُ ...

فإن الناس قد تكلموا فأكثروا عن فضل العلم وأهميته وما أعدَّ الله لطالب العلم من الأجر والجزاء، وانطلق طُلاَّبُ العلم على إِثْرِ هذا في الطلب راجين رضى الله ، وما أعدَّ الله لطالب العلم من الأجر العظيم .

وعلى الرغم من التَّضَخُّمِ الكمِّيِّ الظاهرِ فى أوساط طُلاَّب العلم إلاَّ إنَّ المصلحين وجدوا أنَّ النتائج ، والثمرات أقل بكثير من المتوقع من هذه الأعداد من الطلاب ، ممَّا حَدَا بهم إلى محاولة تلمُّسِ أسباب هذا العجز فى التوازن . .

فوجدوا أننا نستطيع حصر الأسباب الْمُعِينَة لطالب العلم على الوصول إلى مُبتغاه، والاندراج فى سلك العلماء فى الأسباب التالية :

١ ـ توفيق الله تبارك وتعالى .

٢ ـ اتباع المنهجية الصحيحة فى طلب العلم .

٣ ـ الهمة العالية .

٤ ـ الظروف المحيطة بالطلب (من التفرغ للطلب وعدمه ، توفر الشيوخ وقلتهم، والقدرة المادية ، وعدمها . . إلخ) .

٥ ـ الاستعداد الفطري وتوفر الملكة ، (وإنما أخرتها ـ على أهميتها ـ إذ ربما تقعد بالطالب موهبته ، فَتجْبُرُ ذلك وتُقِيمُهُ بقية الأسباب الماضية خاصة الأول) .

ولما كان الأول لا حيلة للطالب فيه إلا الدعاء ، وطاعة الله واجتناب محارمه، فقد أجمع المُصلحون على أنَّ غياب المنهجية ، وفساد طُرق التعليم هو العامل الأكبر فى فساد حياتنا العلمية فى أيام الناس هذه .

* فقد ظهر أناس أعجبتهم عقولهم،وظنوا أنَّ بمقدور الواحد منهم أنْ يهجر عمل الأمة فى أربعة عشر قرنًا متواصلة إلى منهج من بنات أفكاره ،وسمادير أحلامه.

* وآخرون استحوذ عليهم الشيطان ، فطلبوا العلم لغير الله ، فلم يكن مقصودهم طلب المنهجية الصحيحة فى طلب العلم ، وإنما كان أعظم مقاصدهم هو طلب المنهجية الصحيحة فى طلب الشهرة والمال !!!

* وصِنفٌ ثالثٌ ابتلاهم الله بالحيرة والتخبط ، فاليوم منهج ، وغدًا غيره ، بالعشي كتاب ، وبالصبح آخر ،وهكذا تخبط مُستمر ، فيمضى الواحد منهم السنين ولا يُحَصِّلُ شيئًا ، وهذا الصنف هم أغلب طلاب العلم فى هذه الأيام . .

* ومراحل صورية للطلب والتعلم ، ليس فيها ترقٍّ واقعيٍّ ، بل مضامين مُتشابهة فى المراحل تتغير فيها أسماء المتون والكتب ، وتزيد حجمًا وكمّاً ، ولكن

من غير تطوير كيفي للمادة المدروسة ، أو تنمية حقيقية لملكات الطالب.

* وتوسع زائد فى جمع شروح المتن الواحد والتنقل بينها قراءة ودرسًا حتى صار المتن غاية بعد أنْ كان حاقُ أمره أنه مُجَرَّدُ وسيلة . .

* وتوسع زائد فى حفظ متونٍ يُغنى بعضها عن بعض .

* وتغليب للفهم على الحفظ .

* وتغليب للحفظ على الفهم .

* وتخصص كاذب قاصر .

* وتفنن مُدَّعًى مُشَتَّتٌ لا جِماع له .

* جمع للكتب ، ورصٌّ لها على الأرفف ، وتغيير لمنهجية الطلب ، والقراءة مع كلِّ زيارة للمكتبات أو المعارض .

* تضييع للأوقات فى مجالس الحوار والمناظرة في الواقع ، أو على الشبكة العنكبوتية بمنتدياتها ، وبرامج المحادثة فيها ، أكلاً من رأس مالٍ فقيرٍ ضعيفٍ ، حتى يَفنى ، ويُفني معه همة الطالب إن لم يُكسبه تعالمًا وتنفخًا . .

* طرائق في التعلم والتعليم سقيمة باردة لا تُساعد على تنمية ملكة الإبداع العلمي فى الطلبة .

* اشتغال زائد برسم مناهج الطلب من غير طلب حقيقى للعلم ،ولا تطبيق لهذه المناهج .

هذه وغيرها أشهر الآفات التى تلحق طلبة العلم اليوم من جهة منهجية الطلب والتعلم ، وقد حملت على عاتقي بيان سبل علاجها بهذه السلسلة التى عنونت لها بـ « صناعة الفقيه»، ومُرادي الفقيه بالمعنى العام ، والذي يُرادف العالم فى أيِّ باب من أبواب العلم . .

صمدت بهذه السلسلة لإصلاح حال مناهج التعلم والتعليم وِفقَ تجربتي ، ووفق

ما انتخبته من قراءات طويلة مركزة فى أصول هذا الباب العلمية والتربوية والنفسية . .

وهذا الكتاب هو إعادة نشر لكتاب قديم كنت قد نشرته من خمس سنوات تقريبًا بنفس العنوان ، إلا أني غيرت الآن بعض مضامينه ، وزدت فيها ونقصت منها، ومنزلة هذا الكتاب من السلسلة الأم منزلة المدخل المختصر لها ، وفيما وراءه من الكتب تفصيلات كثيرة في كلِّ جزء من أجزاء منهجية العلم والتعليم ، نُحلِّلُها ، ونرسم صواها ونظهر معالمها نحو صُنع موسوعة متكاملة فى هذا الباب الشريف ، باب إصلاح التعليم الدينى .

وعماد هذا الكتاب ليس تكرارَ المعهود فى كتب أدب الطلب ، والبرامج التعليمية، وإنما خطة هذا الكتاب وغرضه :

١ ـ جواب عن بعض الأسئلة الشائعة عند طلبة العلم ، والتى لم أجد الجواب عنها فى كتاب ، وقابلتنى أثناء تدريسي للعلوم الشرعية .

٢ ـ إثارة الذهن بتحريك بعض الأفكار المهمة فى عملية تطوير وإصلاح التعليم الدينى ، وسأكتفى بإثارة هذه الأفكار فى هذا الموجز ، مع التوسع فى بسطها فيما يُستقبل من كتب هذه السلسلة .

٣ ـ انتخاب بعض الأفكار الجيدة المعينة على الترقي فى مدارج الطلب من بعض المراجع الموجودة فى الباب .

٤ ـ عرض لأشهر برامج التعلم فى العلوم المختلفة فى عبارة مُختصرة ، ثُم انتخاب ما نراه الأفضل من بينها .

٥ ـ ذكر برامج علمية فى بعض الأبواب والعلوم التى لم أرَ من رسم لا برامج من قبل .

٦ ـ سرد قوائم للقراءة والمطالعة في كل علم .

وبعد :

فهذا ما تيسر جمعه ، لكم غُنمه ، وعليَّ غُرمه ، والله وحده المسئول أن يُسبغ

علينا ستره وفضله .

فما كان فيه من صواب فمن الله ، وما كان فيه من خطأٍ فمنِّي ومن الشيطان، ونستغفر الله منه .

« فَلْيُمعِنِ النَّاظِرُ فيه النَّظَرَ ، وَلْيُوسِعِ الْعُذْرَ إِنَّ اللَّبِيبَ مَنْ عَذَرَ ، وَيَأْبَى اللهُ الْعِصْمَةَ لِكِتَابٍ غَيْرَ كِتَابِهِ ، وَالْمُنْصِفُ مَنِ اغْتَفَرَ قَلِيلَ خَطَأِ الْمَرْءِ فِي كَثِيرِ صَوَابِهِ» ، وبالله التوفيق .

وَصَلِّ اللهم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم . .

وكتب الفقير إلى ربه

أبو الأشبال أحمد بن سالم المصرى

عفا الله عنه

هاتف جوال : ٠١٠١١٧٢١٤١

Ashbal36@ yahoo.com

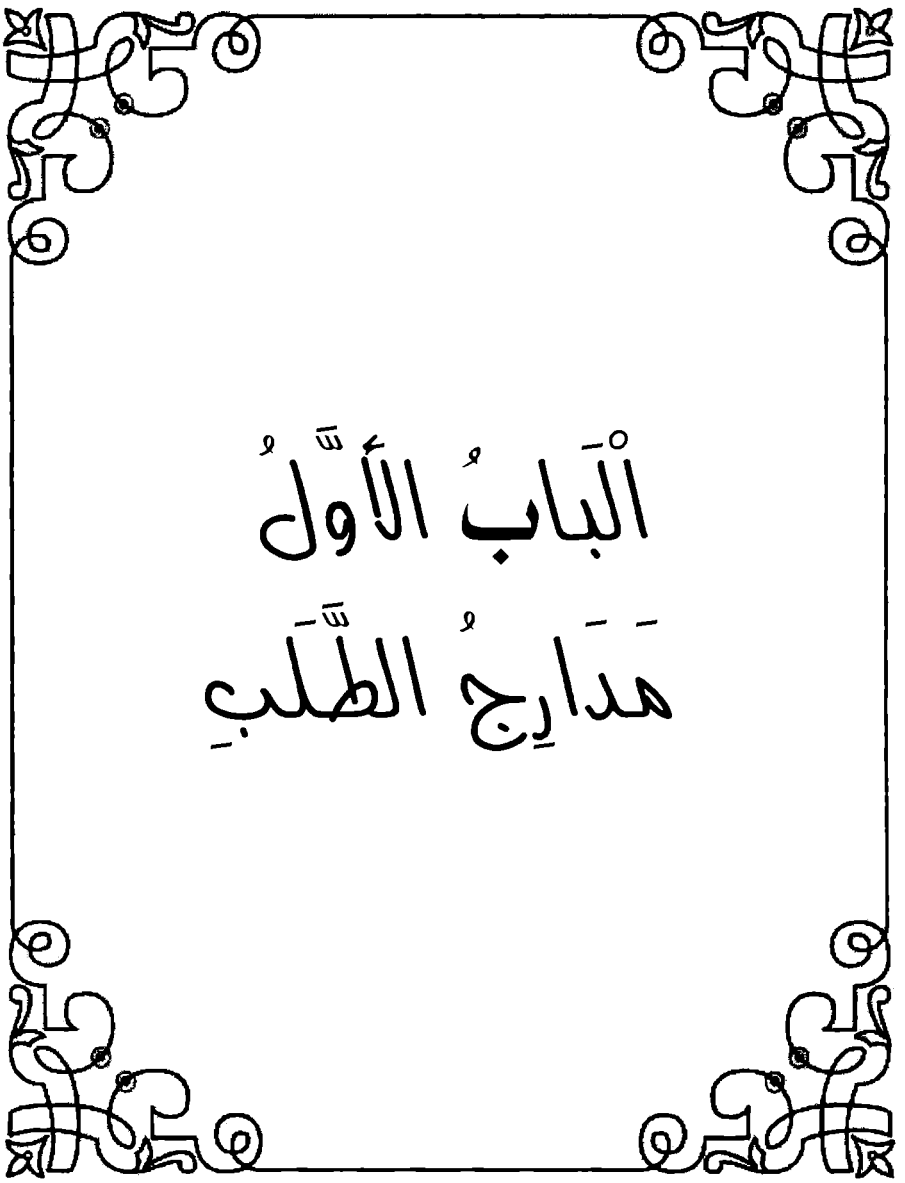

اَلْبَابُ الأَوَّلُ
مَدَارِجُ الطَّلَبِ

معرفة شرف العلم وفضله

هذه أوَّل الأبواب التي يجب على طالب العلم فقهها ، وتبيُّن أدلَّتها السمعية والعقلية ، واستصحاب مضامينها طوال عملية الطلب .

والكلام في شرف وفضل العلوم الشرعية الدينية مبسوط لا تخفى مواضعه ، وهو باب رئيس في جميع الكتب التى تُعنى بأدب الطلب وأحكامه ، وللشيخ محمد سعيد رسلان كتاب حسن غاية عن فضل طلب العلم ،وله كتاب حسن آخر عن ذم الجهل فيُنصح بقراءتهما .

أماَّ العلوم الشرعية الدنيوية وهي التي تكون في زمان ومكان معين من لوازم إصلاح حال الأمة المسلمة وإعداد قوتها ، فهي من هذه الجهة تتناولها أدلة فضل الكلام بالعلم ، وأدلة فضل الإعداد المادي لقوة الأمة ، وأدلة نفع المسلم لإخوانه ولأمته ، وأجر القيام بالفروض الكفائية ، وفصل هذه العلوم فصلًا يهدر اعتبار جهة النفع فيها ليس حسنًا .

ومن أحسن ما يستصحبه طالب العلم غدوة وعشية ، أنه فى طلبه للعلم ـ ما أخلص واتقى ـ في عبادة شريفة من أكرم العبادات وأحبها للرب ـ سبحانه وتعالى ـ، واستحضار هذا مما يُدخل برد الطمأنينة للقلب ، فليس يَعدم الطالب خيرًا ، فهو إنْ لم يُصبْ مُراده من تحصيل غايته من العلم ، فهو في عبادة يُثاب فيها على كل نَفَسٍ من أنفاسه .

وقد جربتُ هذه الطريق مع عدد من إخواننا الذين كان اليأس والقنوط يُداخل قلوبهم ، ويكاد يستفزَّهم به الشيطان لِيَذَرُوا هذه الطريق الطويلة الشاقة ، فكان توكيد

استحضار هذا المعنى ، وشغل القلب به من أعظم ما يطرد عنه الشيطان .

وطريق ذلك أنْ يفقه طالبُ العلم أنَّ اللهَ لو شاء لجعل الكتاب والسنة قطعي الثبوت والدلالة ، ولجعل جنس الأحكام منصوصًا لفظًا ومعنى مستوعبًا للحوادث فهو ـ سبحانه ـ بكل شيء عليم .

وإنَّما أنزل الله الوحى منه مُحْكَمٌ ومنه متشابه ، وتَعَبَّدَ نبيه ﷺ بالاجتهاد ـ على الراجح ـ وأقرَّ النبيُّ ﷺ الصحابةَ على اجتهادهم ، وكُتب الأجر للمجتهد في طلب الحق من جهة الوحي ، وما كان كل ذلك على هذا الوجه ؛ إلا لأنَّ اللهَ ـ سبحانه ـ يجب أنْ يرى عباده في جِدٍّ وَكَدٍّ يطلبون فقه مراده بالوحي كتابًا وسنةً ، ويستفرغون وسعهم في هذا المطلب الدينيِّ الشريفِ ، لا تلهيهم عنه أموالهم ، ولا أولادهم ، فهم في عبادةٍ ما ترددت أنفاسهم في صدورهم ،وما خَطَّتْ أقلامهم سوادها في بياض أوراقهم . .

* * *

السعي في استكمال شعب الإيمان

من أعظم أسباب القوة المادية والمعنوية الْمُعِينَةِ على الرُّقِيِّ في مدارج الطلب: حِرْصُ الطالب على متابعة تتميم بنائه الإيماني بالعبادات القلبية ، وعبادات الجوارح ، ومكارم الأخلاق العامة ، وآداب الطلب الخاصة ،ولا يبلغ الطالب مُراده حقًّا من طلب العلم الموصل للجنة حتى يَعمُر ظاهره وباطنه بأداء الواجبات الشرعية وترك المنهيات الشرعية ، فلا تكون منه مخالفة الأمر والنهي إلا ما يقع منه الفينة بعد الفينة، فَتَعْقُبُهُ التوبة والأوبة .

ويكمل هذا بالنوافل التى لا يستغني الطالب عن حد أدنى منها يختلف باختلاف أحواله الخاصة ، وجوانب القصور النفسية والقلبية عنده ،وخصائص مكانه وزمانه ، وآكد ذلك رواتب الصلاة والصيام المؤكدة ، والذكر وقراءة القرآن ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة للحق بحسبه ، والإحسان الزائد عن الواجب للوالدين والأهل ، وأولي القربى ، والمشايخ وطلبة العلم .

وإذا كان طلب العلم لا يقل أجرًا عن الرواتب والنوافل بل قد يفوقها إلا أن ذلك ينفع عند التزاحم الضيق ، أمَّا عند الاختيار فلابد لطالب العلم من رعاية ميزان المفاضلات ، وأنَّ المفضول فى وقت وزمان ولشخص معين قد يكون فاضلًا فى وقت آخر وزمان آخر وشخص آخر [١]، ومن أعظم ما يُستعان به على ضبط هذا نصيحة الشيخ المربي ، ولكن مثل هذا قليل في الناس اليوم والله المستعان .

* * *

(١) انظر : « مجموع الفتاوى » (٢٤/٢٣٦) ، (٢٦/ ٢٨٦) .

مُختارات من كُتُب أدب الطلب (١)

الكِتَابُ الأَوَّلُ : « تَذْكِرَةُ السَّامِعِ وَالْمُتَكَلِّمِ فِي أَدَبِ الْعَالِمِ وَالْمُتَعَلِّمِ » ، تأليف ابن جماعة الكناني ، حققه وعلق عليه محمد هاشم الندوى ، الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ ، دار رمادى (٢).

١ ـ **قال الحسن** : « إنْ كان الرجل ليخرج فى أدب نفسه السنتين، ثُمَّ السنتين». **وقال حبيب الشهيد لابنه** : « يا بني ! اصحب الفقهاء والعلماء ، وتعلم منهم ، وخذ من أدبهم ؛ فإنَّ ذلك أحب إليَّ من كثيرٍ من الحديث) .

وقال بعضهم لابنه : « يا بني ! لأنْ تتعلم بابًا من الأدب أحب إليّ تتعلم سبعين بابًا من أبواب العلم » . [ص : ٢٠ ، ٢١] .

٢ ـ « اعلم أنَّه لا رتبة فوق رتبة من تشتغل الملائكة وغيرُهم بالاستغفار والدعاء له، وتضع له أجنحتها ، وإنَّه لينافس في دعاء الرجل الصالح أو من يظن صلاحه ، فكيف بدعاء الملائكة ؟!» [ص : ٣١] .

٣ ـ **قال يحيى بن معاذ** : « لو كانت الدنيا تبرًا يفنى ، والآخرة خزفًا يبقى ؛ لكان ينبغى للعاقل إيثارُ الخزف الباقي على التِّبر الفاني ؛ فكيف والدنيا خزف فانٍ والآخرة تبر باقٍ ؟! » . [ص : ٤٧] .

٤ ـ **من أدوية الرياء** : الفكر بأنَّ الخلق كلهم لا يقدرون على نفعه بما لم يقضه الله له ، ولا على ضيره بما لم يُقَدِّرْهُ الله ـ تعالى ـ عليه ؛ فلمَ يحبط عمله ويضير دينه ويشغل نفسه بمراعاة من لا يملك له فى الحقيقة نفعًا ولا ضرًا مع أنَّ الله ـ تعالى ـ يطلعهم على نيته وقبح سريرته ؛ كما صح فى الحديث : « مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ ، وَمَنْ يُرائِي يُرَائِ اللهُ بِهِ » . [ص : ٥٦].

(١) من مقالة للأخ فهد الجريوي على الشبكة العنكبوتية .
(٢) وطبعة مكتبة ابن عباس أصح .

٥ ـ كان جماعة من السلف يستفيدون من طلبتهم ما ليس عندهم . **قال الحميدى ـ وهو تلميذ الشافعى ـ** : « صحبت الشافعي من مكة إلى مصر ، فكنت أستفيد منه المسائل ،وكان يستفيد منى الحديث » ، **وقال أحمد بن حنبل**: « قال لنا الشافعى : أنتم أعلم بالحديث مِنِّي ، فإذا صح الحديث ؛ فقولوا لنا حتى آخذ به » . وأبلغ من ذلك كله قراءة رسول الله ﷺ على أُبيّ ، وقال : «**أَمَرَنِي اللهُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾** قالوا : من فوائده أن لا يمتنع الفاضل من الأخذ عنْ المفضول . [ص: ٦١].

٦ ـ ومن الناس من ينكر التصنيف والتأليف فى هذا الزمان على من ظهرت أهليته وعُرفت معرفته ، ولا وجه لهذا الإنكار ؛ إلا التنافس بين أهل الأعصار ؛ وإلا فمن إذا تصرف في مداده وورقه بكتابة ما شاء من أشعار وحكايات مباحة أو غير ذلك لا ينكر عليه ؛ فلِمَ إذا تصرف فيه بتسويد ما ينتفع به من علوم الشريعة يُنكَر ويُستهجَن ؟! أمَّا من لم يتأهل لذلك ؛ فالإنكار عليه نتيجة لما يتضمنه من الجهل، وتقرير من يقف على ذلك التصنيف به ،ولكونه يضيع زمانه فيما لم يتقنه ، ويَدَّعِ الإتقان الذي هو أحرى به منه . [ص : ٦٢] .

٧ ـ **قال محمد بن الحكم** : (سألت الشافعى ـ رضي الله عنه ـ عن المتعة ؛ أكان فيها طلاق ، أو ميراث، أو نفقة تجب ،أو شهادة ؟ فقال : والله ما ندرى.

« واعلم أن قول المسؤول : « لا أدري » لا يضع من قدره ـ كما يظنه بعض الجهلة ـ ، بل يرفعه ؛ لأنه دليل عظيم على عِظَمِ محله ،وقوة دينه ، وتقوى ربه ، وطهارة قلبه ، وكمال معرفته ،وحسن تثبته . وإنما يأنف من قول : « لا أدري » من ضَعُفَتْ ديانته وقلَّت معرفته ؛ لأنه يخاف من سقوطه من أعين الحاضرين ،وهذه جهالة ورِقَّةُ دين ، وربما يشهر خطؤه بين الناس ، فيقع فيما فرَّ منه ، ويتصف عندهم بما احترز عنه . وقد أدَّب الله ـ تعالى ـ العلماء بقصة موسى مع الخضر ـ عليهما السلام ـ حين لم يردَّ موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ العلم إلى الله ـ تعالى ـ

لما سُئِلَ : هل أحد فى الأرض أعلم منك؟. [ص : ٧٩].

٨ ـ ينبغى للمعلم أن يحب لطالبه ما يحب لنفسه كما جاء فى الحديث ، ويكره له ما يكره لنفسه . قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : « **أكرم الناس علىَّ جليسي الذي يتخطى رقاب الناس إلىّ، لو استطعت أن لا يقع الذباب عليه ؛ لفعلت** ». وينبغي أن يُعتني بمصالح الطالب ، ويعامله بما يعامل به أعزَّ أولاده ؛ من الحنو ، والشفقة عليه ، والإحسان إليه ، والصبر على جفاء ربما وقع منه ، نقص لا يكاد يخلو الإنسان عنه ، وسوء أدب في بعض الأحيان ، ويبسط عذره بحسب الإمكان ، ويوقفه مع ذلك على ما صدر منه بنصح وتلطف ، لا بتعنيف وتعسف ؛ قاصدًا بذلك حسن تربيته ، وتحسين خلقه ، وإصلاح شأنه . [ص : ٨٩] .

٩ ـ ينبغى على المعلم أنْ لا يلقي إلى الطالب ما لم يتأهل له ؛ لأنَّ ذلك يبدد ذهنه ويفرِّق فهمه ، فإن سأله الطالب شيئًا من ذلك ؛ لم يجبه ، ويعرِّفه أن ذلك يضره ولا ينفعه ، وأن منعه إياه منه لشفقة عليه ولطف ، لا بُخلاً عليه ، ثم يرغِّبه عند ذلك فى الاجتهاد والتحصيل ؛ ليتأهل لذلك وغيره . وقد رُوي فى تفسير الربانى : أنه يربى الناس بصغار العلم قبل كباره . [ص ٩٠ ، ٩١] .

١٠ ـ على المعلم أنْ يسعى في مصالح الطلبة وجمع قلوبهم ومساعدتهم بما تيسر عليه من جاه ومال عند قدرته على ذلك وسلامة دينه وعدم ضرورته ؛ فإنَّ الله ـ تعالى ـ في عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه ، ومن كان في حاجة أخيه ؛ كان الله ـ تعالى ـ في حاجته ، ومن يسَّر على معسر ؛ يسَّر الله عليه حسابه يوم القيامة ، ولاسيما إذا كان ذلك إعانة على طلب العلم الذي هو من أفضل القربات ، وإذا غاب بعض الطلبة أو ملازمي الحلقة زائدًا عن العادة ؛ سأل عنه وعن أحواله وعن من يتعلق به ، فإن لم يخبر عنه بشيء ؛ أرسل إليه ، أو قصد منزله بنفسه ، وهو أفضل. فإن كان مريضًا ؛ عَادَهُ ، وإن كان في غمٍّ خفض عليه ، وإنْ كان مسافرًا تفقد أهله ومن يتعلق به ، وسأل عنهم ، وتعرض لحوائجهم ،ووصلهم بما أمكن ،

وإن كان فيما يحتاج إليه فيه إعانة ، وإن لم يكن شيء من ذلك ؛ تودد عليه ، ودعا له .

واعلم أنَّ الطالب أعود على العالم بخير الدنيا والآخرة من أعز الناس عليه، وأقرب أهله إليه، ولذلك كان علماء السلف الناصحون لله ودينه يلقون شبك الاجتهاد لصيد طالب ينتفع الناس به فى حياتهم ومن بعدهم ، ولو لم يكن للعالم إلا طالب واحد ينتفع الناس بعلمه وعمله وهديه وإرشاده ؛ لكفاه ذلك الطالب عند الله ـ تعالى ـ ؛ فإنه لا يتصل شيء من علمه إلى أحد فينتفع به ؛ إلا كان له نصيب من الأجر. [ص ١٠٣ ، ١٠٤] .

١١ ـ قال ﷺ : « **إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ ، إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ** » .

وأنا أقول : إذا نظرت ؛ وجدت معاني الثلاثة موجودة في معلم العلم : أمَّا الصدقة ؛ فاقراؤه إياه العلم وإفادته إياه ، وأمَّا العلم المنتفع به ، فظاهر ؛ لأنَّه كان سببًا لإيصال ذلك العلم إلى كل من انتفع به ، وأما الدعاء الصالح له ؛ فالمعتاد المستقرأ على ألسنة أهل العلم والحديث قاطبة من الدعاء لمشايخهم وأئمتهم ، وبعض أهل العلم يدعون لكل من يُذكر عنه شيء من العلم ، وربما يقرأ بعضهم الحديث بسنده ، فيدعو لجميع رجال السند ، فسبحان من اختص من شاء من بعاده بما شاء من جزيل عطاءه . [ص : ١٠٥] .

١٢ ـ على الطالب أن يُطهِّر قلبه من كلِّ غشٍّ ودنس ، وغلٍّ وحسد، وسوء عقيدة وخلق ؛ ليصلح بذلك لقبول العلم وحفظه والاطلاع على دقائق معانيه وحقائق غوامضه ؛ فإن العلم كما قال بعضهم : صلاة السر ، وعبادة القلب ،وقربة الباطن، وكما لا تصح الصلاة التي هي عبادة الجوارح الظاهرة إلا بطهارة الظاهر من الحَدَثِ والخَبَثِ ؛ فكذلك لا يصح العلم الذي هو عبادة القلب إلا بطهارته عن خُبث الصفات ،وحدث مساوئ الأخلاق ورديئها .[ص : ١١١].

١٣ ـ ليحذر الطالب من التـقُّيد بالمشهورين ، وترك الأخذ عن الخـاملين ؛ فقد عدَّ الغـزالي وغيره ذلك من الكِبْرِ على الـعلم ، وجعله عين الحماقـة ؛ لأنَّ الحكمة ضالة المؤمن ، يلتـقطها حيث وجـدها ، ويغتنمهـا حيث ظفر بهـا ، ويتقلد المنة لمن ساقها إليه ؛ فإنَّه يهرب من مخافة الجهل كما يهرب من الأسد ، والهارب من الأسد لا يأنف من دلالة من يدله على الخَلاص كائنًا من كـان ، فإذا كان الخامل ممن تُرجى بركته ؛ كـان النفع به أعمَّ ، والتحصـيل من جهته أتمُّ ، وإذا سبـرت أحوال السلف والخلف ؛ لم تجد النفع يـحصل غالبًـا والفلاح يدرك طالبًا ؛ إلا إذا كـان لشيخ من التقوى نصيب وافر ، وعلى شفقته ونصحه للطلبة دليل ظاهر .[ص:١٣٤، ١٣٥].

١٤ ـ أنْ يصبر على جفوة تصدر من شيخه، أو سوء خلق ،ولا يصده ذلك عن مُلازمتـه وحُسن عقيدته ، ويتأول أفـعاله التي يظهر أنَّ الصواب خلافـها على أحسن تأويل ، ويبدأ هو عند جـفوة الشيخ بالاعتـذار والتوبة مما وقع والاستغـفار ، ونسب الموجب إليه ، ويجعل العـتب عليه ؛ فإن ذلك أبقى لمودة شيخـه ، وأحفظ لقلبه ، وأنفع للطالب في دنياه وآخرته . [ص : ١٤٠] .

١٥ ـ إذا سمع الطالبُ الشيخ يَذكـر حُكمًا في مسألة ، أو فائدة مسـتغربة ، أو يحكي حكاية ، أو ينشد شعرًا ، وهو يحفظ ذلك ؛ أصغى إليه إصغاء مستفيد له في الحال ، متـعطشًا إليه ، فرحًا به ، كأنه لم يسـمعه قط . **قال عطاء** : « إنى لأسمع الحديث من الرجل وأنـا أعلم به منه ، فأريه من نفسى أنـي لا أحسن منه شيـئًا » . فإن سأله الشيخ عند الشروع في ذلك عن حـفظه له ؛ فلا يجيب بـ (نعم) ؛ لما فيه من الاستغناء عن الشيخ فيه ، ولا يقل : لا ؛ لما فيه من الكذب ، بل يقول : أحب أن أسمـعه من الشـيخ ، أو : أن أستـفيـده منه ، أو : بَعُدَ عهـدي ، أو : هو من جهتكم أصحُّ . فإنْ عَلِمَ من حال الشيخ أنه يؤثر العلم بحفظه له مسرة به ، أو أشار إليه بإتمامه ؛ امـتحانًا لضبطه وحـفظه ، أو لإظهار تحصيله ؛ فـلا بأس باتباع غرض الشيخ ابتغاء مرضاته وازدياد الرغبة فيه [ص : ١٥٦ ، ١٥٧] .

١٦ ـ على الطالب أنْ يحـذر في ابتـداء أمره من الاشـتغـال في الاختـلاف بين العلماء ، أو بين الناس مطلقًا فى العقليات والسمـعيات ؛ فإنَّه يحيّر الذهن، ويدهش العقل ، بل يتـقن أوّلا كتابًا واحدًا في فن واحـد ، أو كتبًا في فنون إن كـان يحتمل ذلك ، على طريقة واحدة يرتضيها له شيـخه ، فإن كانت طريقة شيخه نقل المذاهب والاختلاف ، ولم يكن له رأى واحد ؛ **قال الغزالى** : « فليحذر منه ، فإن ضرره أكـثـر من النفع به ». وكـذلك يحـذر فى ابتـداء طلبـه من المطالعـات فى تفـاريق المصنفات؛ فـإنه يضيع زمانه ، ويفرِّق ذهنه ، بل يعطى الكتـاب الذى يقرؤه أو الفن الذى يأخذه كُلِّيته حتى يُتقنه ، وكذلك يحـذر من التنُّقل من كتاب إلى كتاب من غير موجب؛ فإنه علامة الضجر وعدم الإفلاح .

أمـا إذا تحقق أهليـته ، وتأكـدت معـرفتـه ؛ **فـالأولى أن لا يدع فنًا من العلوم الشرعية ؛ إلا نظر فيـه ، فإن ساعده القَدَرُ وطول العمر على التبـحُّرِ فيه ؛ فذاك ، وإلا فـقد اسـتفـاد منه مـا يخرج به من عـداوة الجـهل بذلك العلم** ، ويعتنى من كل علم بالأهمِّ فالأهمِّ ، ولا يغـفلنَّ عن العمل الذي هو المقـصود بالعلم . [ص : ١٧١ ، ١٧٦ .

١٧ ـ على طالب العلم إذا شرح مـحفوظاته المختـصرات ، وضبط ما فـيها من الإشكالات والفوائد المهـمات ؛ انتقل إلى بحث المبسوطات ، مع المـطالعة الدائمة ، وتعليق ما يمر به ،أو يسمعه من الفوائد النفيسة ،والمسائل الدقيقة ،والفروع الغريبة ، وحلِّ المشكلات والفروق بين أحكام المتشابهـات من جميع أنواع العلوم ، ولا يستقلُّ بفائدة يسمعها ، أو يتهاون بقاعدة يضبطها ، بل يبادر إلى تعليقها وحفظها .

ولتكن هِمَّته في طلب العـلم عالية ؛ فلا يكتفى بقليل العلم مع إمكان كـثيرة ، ولا يقنع من إرث الأنبيـاء ـ صلوات الله عليهم ـ بيسـيره ، ولا يُؤخِّرُ تحصـيلَ فائدة تمكَّن منها ، أو يشغله الأمل والتسويف عنها ؛ فإنَّ للتأخير آفات ، ولأنه إذا حصَّلها في الزمن الحاضر ؛ حصَّل في الزمن الثاني غيرها .[ص : ١٨٩ ، ١٩٠] .

١٨ ـ ولْيَحْـذَرْ من نظر نفسه بعين الجـمال والاستغناء عن المشـايخ ؛ فإن ذلك عين الجهل وقلة المعرفة ، وما يفوته أكثر مما يحصله . **قال سعيد بن جبير** : « لا يزال الرجل عالمًا ما تعلم ، فإذا ترك التعلم وظن أنه قد استغنى ؛ أسوأ جهل ما يكون» . [ص : ١٩٠، ١٩١].

١٩ ـ وكمـا لا ينبغي للطالب أن يستـحى من السؤال ؛ فكذلك لا يسـتحي من قوله : لم أفهم ؛ إذا سأله الشيخ ؛ لأن ذلك يفوت عليه مصلحته العاجلة والآجلة: **أما العاجلة** ؛ فحفظ المسألة ، ومعرفتها ، واعتقاد الشيخ فيه الصدق والورع والرغبة، **والآجلة** : سلامته من الكذب والنفاق ، واعتياده التحقيق . [ص : ٢١٥].

٢٠ ـ على الطالب أن يُرغِّب بقيَّـة الطلبة في التحـصيل ، ويدلهم على مظانه ، ويصرف عنهم الهمـوم المشغلة عنه ، ويهون عليهم مؤنتـه ، ويذاكرهم بما حصَّله من الفوائد والقواعد والغرائب ، وينصحهم بالدين ؛ فبذلك يستنير قلبه ، ويزكو عمله ، ومن بخل عليهم ؛ لم يثبت علمه ، وإن ثبت لم يثمر ، وقد جَرَّبَ ذلك جماعة من السلف ، ولا يفخر عليهم ، أو يعجب بـجودة ذهنه ، بل يحمد الله ـ تعالى ـ على ذلك، ويستزيده منه بدوام شكره . [ص : ٢٢٢] .

٢١ ـ وعلى الطالب أن يحـذر من المماراة فى البحث والمغـالبة فيـه ؛ فإنْ ثارت نفسه ؛ ألجـمها بلجام الصمت والانقـياد ، فإن ذلك أقطع لانتشـار الغضب ، وأبعد عن منافرة القلوب . ويجتهد كل من الحاضرين على طهارة القلب لصاحبه ، وخلوه عن الحقد ، وأن لا يقوم وفى نفسـه منه شيء ، وإذا قام من الدرس ؛ فليقل ما جاء في الحديث : « سُبْـحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، وَلاَ إِلَهَ أَنْتَ ، أَسْتَـغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي ؛ إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ » . [ص : ٣٠٢ ، ٣٠٣].

الكِتَابُ الـثَّانِي: « اقْتِضَاءُ العِلمِ العَمَلُ » ، للخطيب البغـدادي ، تحقيق محـمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ، مكتبة المعارف .

١ ـ ثم إني موصيك يا طالب العلم بإخلاص النية فى طلبه ،وإجهاد النفس على العمل بموجـبه ، فإن العلم شجرة ، والعـمل ثمرة ، وليس يعد عـالمًا من لم يكن بعلمه عامًلا . **وقيل** : العلم والد ، والعمل مـولود ، والعلم مع العمل ، والرواية مع الدراية ، فلا تأنس بالعـمل ما دمت مسـتوحشًا من الـعلم ، ولا تأنس بالعلم ما كنت مقصرًا فى العـمل ، ولكن اجمع بينهما ، وإن قلَّ نصيـبك منهما . وما شيء أضعف من عالم ترك الناس علمه لفساد طريـقته ،وجاهل أخذ الناس بجهله لنظرهم إلى عبادته . [ص : ١٨] .

٢ ـ **قال يوسف بـن الحسين** : « في الدنيا طـغيانان : طغـيان العلم ، وطغـيان المال، والذى ينجيك من طغيان العلم العـبادة ، والذي ينجيك من طغيان المال الزهد فيه» . [ص : ٣٢] .

٣ ـ **قال حفص بن حـميد** : « دخلت على داود الطائى أسأله عن مسألة ـ وكان كريمًا ـ فقال : أرأيت المحارب إذا أراد أن يلقى الحرب ؟ أليس يجمع آلته ، فإذا أفنى عمره فى الآلة فـمتى يحارب ؟ إن العلم آلة العمل فـإذا أفنى عمره فى جمعـه فمتى يعمل ؟ » . [ص : ٤٥] .

٤ ـ **قال الإمام أحمد بن حنبل وقد سُئل عن رجل يكتب الأحاديث فيكثر ، قال:** «ينبغي أن يكثر العمل به على قدر زيادته فى الطلب ، (ثم قال) : سبل العلم مثل سبل المال ، إن المال إذا ازداد ازدادت زكاته » . [ص : ٨٨] .

٥ ـ **قال مـالك بن دينار** : « تلقى الرجل وما يلحن حـرفًا وعمله لحن كله » ، **وقـال إبراهيم بن أدهم** : أعـربنا في الكلام فـما نلحن ، ولحنا فـى الأعمـال فمـا نُعرب. [ص : ٨٩] .

٦ ـ **كتب محمد بن النصر الحارثى إلى أخ له** : « أما بعد فإنك فى دار تمهيد ، وأمامك منزلان لابدَّ من أن تسكن أحدهمـا ولم يأتك أمان فتطمئن ولا براءة فتـقصر

والسلام » . [ص : ٩٤] .

الْكِتَابُ الـثَّالِثُ : « **الْجَامِعُ لأَخْلاَقِ الرَّاوِي وآدَابِ السَّامِعِ** » ، **للحافظ الخطيب البغدادي ، تحقيق الدكتور محمود الطحان ، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ ، مكتبة المعارف. (مطبوع فى مجلدين)** .

فوائد من المجلد الأول :

١ ـ الواجب أن يكون طلبة الحديث أكمل الناس أدبًا ، وأشدَّ الخلق تواضعًا ، وأعظمهم نزاهة وتدينًا ، وأقلهم طَيْشًا وغضبًا ، لدوام قرع أسماعهم بالأخبار المشتملة على محاسن أخلاق رسول الله ﷺ وآدابه ، وسيرة السلف الأخيار من أهل بيته وأصحابه ،وطرائق المحدثين ،ومآثر الماضين ، فيأخذوا بأجملها وأحسنها ، ويصدفوا عن أرذلها وأدونها . [ص : ٧٨] .

٢ ـ **قال إبراهيم بن حبيب بن الشهيد** : قال لي أبي : « يا بني إيت الفقهاء والعلماء وتعلَّم منهم ، وخُذ من أدبهم وأخلاقهم وهديهم ، فإنَّ ذاك أحبُّ إليّ لك من كثير من الحديث » . [ص : ٨٠] .

٣ ـ وعلى طالب العلم أن يجعل حفظه للحديث حفظ رعاية ، لا حفظ رواية ، فإن رواة العلوم كثير ، ورعاتها قليل . ورُبَّ حاضرٍ كالغائب ، وعالمٍ كالجاهل ، وحاملٍ للحديث ليس معه منه شيء ؛ إذ كان فى إطراحه لحكمه بمنزلة الذاهب عن معرفته وعلمه . [ص : ٨٧] .

٤ ـ **قال سفيان ابن عيينة** : « إنْ أنا عملت بما أعلم فأنا أعلم الناس ، وإن لم أعمل بما أعلم فليس في الدنيا أحد أجهل مني » . [ص : ٩٠] .

٥ ـ **قال عاصم بن عاصم البيهقي** : « بِتُّ ليلة عند أحمد بن حنبل ، فجاء بالماء فوضعه ، فلمَّا أصبح نظر إلى الماء فإذا هو كما كان ، فقال : سبحان الله ! رجل يطلب العلم لا يكون له وردٌ من الليل » . [ص : ١٤٣] .